مجلة الباحث
موقع المجلة: https://journals.uokerbala.edu.iq/index.php/bjh/

الخير والسعادة بوصفهما مبدأً أساسياً في علم الأخلاق

علي سلمان عواد
حسين حمزة شهيد

جامعة كربلاء- كلية التربية للعلوم الانسانية

معلومات الورقة البحثية

تاريخ الاستلام 5/ 5/ 2025
تاريخ القبول 2025 /5/20
تاريخ النشر 2025/3/1

الكلمات الرئيسية:

الخير، السعادة ، اللذة ، الفلسفة ، التطور التاريخي، الحضارات القديمة

المستخلص باللغة العربية:

ملخص البحث يلاحظ أن التاريخ البشري قد شهد ظهور مصطلحا الخير والسعادة منذ بدايات التفكير الانساني، وجاء ذلك في الاديان القديمة والحضارات التي ظهرت في تلك الحقب الزمنية، فالخير والسعادة لم يكونا حكراً على دين أو حضارة دون اخرى أو على زمان معين، ولكن في البد لم يكونابحثاً علميا، أي أنه لم تكن له مقومات علمية تجعل له تأثيرا كبيراً، وفي مابعد تطورا واصبح لهما مقومات علمية، ودخل في حيز الفلسفة مع الفلسفة اليونانية وصولاً الى الفلسفة الإسلامية.

doi: xx.xxxx

1. المقدمة

يمكن لنا القول أن مصطلح الخير هو أعم من مصطلح السعادة على أعتبار أن الخير يكون مطلقاً وقد يشمل أكثر من في آن واحد وقد يشمل أمة كامل كنزول الغيث مثلاً، ولكن السعادة ممكن أن تكون أقل عمومية من الخير بعتبارها تحصل لشخص معين ولا تحصل نفس هذه اللحظة السعيدة الى شخص وفي ذات السياق ، نجد أن هناك أختلاف مابين اللذة والسعادة ، حيث أن السعادة قد تكون لفترة أطول من اللذة، أي أن اللذة آنية وتنتهي بنتهاء السبب، ولكن السعادة قد تدوم لفترة أطول من اللذة، مثلاً عندما أتناول طعاما شهياً تكون عندي شيء من اللذة، وعند الإنتهاء تذهب هذه اللذة معه، أما السعادة فعندما أتمكن من النجاح في مجال من المجالات قد يسبب لي سعادة لفترة من الزمن، ولكن أوجه الشبه بين الأثنين إنهما شخصيان وسوف نبين ذلك عند الخواجة نصير الدين الطوسي ,اثر الفلاسفة المسلمين علية ثم الإشارة الى أصل ظهور هذه المصطلحات ، بالتأكيد إن المصطلح ظهر في الفلسفة اليونانية القديمة ولقد ظهرت هذه المصطلحات جليتاً في الفلسفة الاسلامية على يد الفارابي وابن سينا حتى وصل الامر الى نصير الدين الطوسي.

وقد جاء بحثنا الموسوم بـ(الخير والسعادة بوصفهما مبدأ أساسيا في علم الأخلاق) منقسماً على ثلاث مطالب رئيسة هي: المطلب الأول كان تحت عنوان: (تعريف الخير ومراتبة)، أما المطلب الثاني فوسمته بـ(السعادة وأقسامها)، أما المطلب الثالث فكان عنوانه(اللذة والألم).لاستخلاص النتائج. تضمن هذه العملية العلمية تقديم حجج مدعومة بالأدلة، مما يؤدي إلى استنتاجات موثوقة.

المطلب الأول: تعريف الخير ومراتبه.

تباينت الآراء حول موضوع الخير والشر، فالبعض يرى بأن الإنسان خيّرٌ بطبعه، والشر عارض له، وهو مذهب المتفائلين ويرجع هذا المذهب في فكرته الأولى إلى سقراط و الرواقيين، وأيد ذلك جان جاك

روسو(تـــ 1778م) في كتابه (أميل) ، والفريق الثاني يرى إنّ الإنسان شرير بطبعه والخير طارئ عليه، وهو مذهب المتشائمين كالبوذية، كما تميل الكنيسة المسيحية كذلك إلى هذا الرأي، حيث ترى أنّ الإنسان منذ خطيئة آدم قد انقلب شريرا لا حيلة في إصلاحه بنفسه، أما الرأي الذي يقول بأنّ الإنسان خُلق مستعدا للخير والشـــر جميعا، فهو الرأي الذي يتفق مع آراء علماء النفس والتربية، وقد ســـبق أن قال بهذا الرأي الفيلسوفان العربيان الغزالي وابن خلدون[1].

فالخير: هو مصطلح فلسفي عام؛ لأنّه يُستعمل بمعان كثيرة، فيشير في مضامينه الواسعة إلى كل شيء حسن و مفيد و نافع، أو يحقق غاية معينة، وبهذا المعنى تتحدث صفة الخير، عند المواطن أو خير المجتمع أو خير الإنسانية... الخ وكثيرا ما يطلق لفظ عن شخص ما إنه لا خير فيه، أي إنّه لا يُرتجى منه نفع، ولا يُنتظر منه أي عمل صالح، إذاً يشير مصطلح الخير إلى معنيين مهمين هما: معنى الكمال، ومعنى السعادة، وذهب بعض من الفلاســفة إلى أنّ الخير هو ذات القيمة العليا التي ترجع إليها ســائر القيم، فقديما قال أفلاطون: إنّ الجمال والجلال رمزان كاملان لمثال الخير، وحاول إرجاع الأحكام التقديرية كلها إلى شـــيء واحد وهو الحكم بالخير على كل شيء ذي منفعة وقيمة[2]

يرى الخواجة نصير الدين الطوسي أنه بسبب القوة العاقلة عند الإنسان، تنقسم أفعاله إلى الخير والشر، والحسن والقبيح، وبذلك يُوصف بالسعادة والشقاء، بخلاف الحيوانات والنباتات، وعليه فمن يستعمل هذه القوة كما يجب ويتوصل بالإرادة والسعي إلى الفضيلة التي خُلق متوجهاً نحوها، يكن خيراً وسعيداً، وإذا أهمل السعي بالطرف المقابل، أو بالكسل والإعراض، يكن شريراً وشقياً، وأمّا من تتغلب عليه تلك الأشياء التي يشترك فيها مع الحيوانات والمركبات الأخرى وتتوجه همته إليها فإنه ينحط ويصل إلى مرتبة البهائم أو أقل من ذلك[3]. **أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**[4].

ويقول الخواجة نصير الدين الطوسي: "لقد قال الحكماء المتقدمون أن الخير نوعان أحدهما مطلق والأخر مضاف، والخير المطلق: هومن وجود الموجودات، وهو غاية كل الغايات لذاته، أما الخير بالإضافة: فهو يتعلق بالأشياء التي تنفع في الوصول لتلك الغايات"[5].

ويرى الخواجة نصـــير الدين الطوســـي أن الخير المطلق له معنى واحد هو أن كل حركة موجهة نحو تحقيق هدفها، وكل عمل موجه نحو تحقيق بعض الأغراض. لا يجوز عقلاً للإنسان أن يتحرك ويسعى بلا نهاية دون تحقيق هدف مرغوب أو استهدافه، ويجب على فاعل كل عمل أن يتصور الشيء الذي يسعى إليه، وإلا وقع العبث، وهو ما ينهى عنه العقل ويعتبره مذموماً، بناءً على ذلك، إذا كان هذا الهدف جيدًا في حد ذاته، فهذا هو الخير المطلوب، أما إذا كان سببًا للخير، فإنه يكون جيدًا بالإضافة، ويصبح هذا الخير جيدًا مطلقًا عندما تتجه صناعة العقلاء وأفكارهم ورؤاهم نحو هذا، الخير لذلك فإن الخير المطلق مشترك بين الجميع في معنى واحد من الضـــروري فهم هذا المعنى، فإذا اقتصـــر الناس جميعاً على طلبه، وحذروا من الإقبال على الخيرات الزائدة المتناثرة، وسلّموا من الخطأ، ولم ينظروا إلى الخيرات التي ليست بخير، بلغوا تلك الدرجة أو أقربها إن شاء الله تعالى[6].

أما تقسيم الخيرات: أنّ الخواجة يسير على خطى أرسطو ومسكويه والذي بدوره تأثر أيضا بتقسيم أرسطو فيقول: إنّ الخيرات منها ما هو شريف ومنها الممدوح، والبعض خير بالقوة والآخر نافع في طريق الخير[7].

"أمّا الخيرات الشريفة، فالبعض يكون شرفها ذاتيا، ويُعرض الشرف منها على الأشياء الأخرى، وهي العقل والحكمة، وأمّا الممدوحة منها فهي أنواع الفضـــائل، وأقســـام الأفعال الجميلة، وأمّا الخير بالقوة فهو تهيُؤ هذه الخيرات واستعدادها، وأمَّا النافعة في طريق الخير، فهي الأشياء التي لا تكون مطلوبة لذاتها، بل بسبب شيء آخر كالقوة والثروة"[8].

والخير إما أن يكون تابعًا للنفس أو الجسد، أو يكون خارجًا عنهما، قد يكون الخير معقولاً أو محسوسًا، وقد ركز البعض على المقولات العشـــر التي تشـــمل أنواع الكائنات، ويرى هذا الفريق أن الخير يكمن في الجوهر، كجوهر العقل، وهو المبدع الأول وتنتهي إليه جميع الموجودات الأخرى، بينما ينتهي هو إلى الحضرة الإلهية، سبحانه وتعالى[9].

ونجد جذور الفكرة عند الفارابي الذي حاول أن يوفق ما بين قوة الفكر وعلاقته بالفضائل، الفضائل التي تكشف عن الأمور وتساعدنا على بلوغ الغايات، غير أنّ الأمر يعود الى قوة الفكر، فقد يكون الفعل شراً لغاية ما، وفي مثل هذه الحالة الأمور التي يراد منها غاية شريرة فهي شرٌ، والأمور التي يراد منها غاية خير فهي خيرٌ[10].

والأخلاق هي العلم الذي يضع القوانين الرئيسية التي يتطلب من الإنسان أن يسير عليها في سلوكه، إذ تتعلق المسائل الأخلاقية عند الفارابي بموضوع النفس، فكل ما يتعلق بالأخلاق، مثل السعادة واللذة والألم والفضيلة والرذيلة، والخير والشر وغيرها، إنّما يكون بحسب طبيعة النفس وسلوكها؛ فالنفس مرآة يجب صقلها كي تستقبل المعارف والعلوم والأخلاق الحسنة والسياسة الناجحة[11]. ويؤكد الفارابي على أنّ الأخلاق المحمودة والمذمومة يمكن للإنسان أن يكتسبها من خلال الممارسة، فإذا لم تكن للإنسان أخلاق محمودة؛ فبوسعة أن يحصل عليها بالعادة، وتكون العادة من خلال ممارسة الفعل الواحد ممارسة كثيرة وعلى مدى زمن طويل، وفي أوقات متقاربة[12].

ويذهب مسكويه أيضاً الى إن الأشياء الإرادية التي تنسب الى الانسان تنقسم الى الخيرات والشرور؛ وذلك أنّ الغرض المنشود الذي يسعى إليه الإنسان إذا حصل هو الذي يجب أن يسمى به خيراً، فأمّا من عاقه عنها عائق فهو الشرير الشقي، بتعبير آخر إنّ الخيرات: هي الأمور التي تحصل للإنسان بإرادته وسعيه في الامور التي أوجد الانسان من أجلها، والشرور: هي الأمور التي تعوق عن الإنسان هذه الخيرات بإرادته وسعيه أيضا أو نتيجة كسله وانصرافه. والخيرات تُقسم الى أقسام كثيرة، منها: ما هي شريفة ممدوحة ونافعة، ومنها ما هي بالقوة كذلك ويعني بالقوة التهيؤ والاستعداد[13].

أمّا ابن سينا في تبيان حدود الخير والشر فيتّفق مع الكثيرين على وجود الخير والشر في العالم، ويقر بهما كما أقر الفارابي بوجودهما إذ يرى إنّ الأمور في العالم وأحوال الإنسان كثيرة، وهي مختلفة، ومنها خير، ومنها شر[14].

ويحدد ابن سينا وجود الشر في الطبيعة بأنّه يظهر من خلال ما ينتج عن اشتعال النار وتسبب الاضرار، وما ينتج عن المطر من إغراق الزرع، وما ينتج من الأنهار عن غرق طفل صغير، بل ويظهر الشر عند الإنسان من خلال سوء الأخلاق والفساد، فيعتقد أنّ الشر يحصل بسبب نقص ما، وهو كالجهل والضعف وتشويه الأخلاق، وسمي شراً لما يشبه الألم والهم والضيق. ويسمى أيضاً شراً لما فيه من الأفعال المذمومة، ويسمى شراً لابتعاده عن أصول الأخلاق وغيرها[15]. أمّا حدود الخير عند ابن سينا فيمكن استظهارها من تعريفِه له بقوله: الخير بالجملة هو ما يتشوّقه كل شيء، ويتم به وجوده، لكننا نلاحظ أنّ هذا التعريف الذي يقدمه، ليس تعريفاً علمياً؛ ذلك أنّ التعريف العلمي هو ذكر خاصّية جوهرية للشيء، ولكن ما يذكره هو رسم يدل على الخير بقصد القاصد إليه، وما يقصده القاصد هو كماله الذي هو خيره؛ ذلك أنّ القاصد يطلبه ليتم به وجوده، فالخير بناء على هذا هو كمال الوجود، فكل كائن موجود تتحقق فيه نسبة من الوجود تكون هذه النسبة مساوية لنسبته في الكمال والخير[16].

ويكفي لبيان فساد رأي القائلين: إنّ المرء كان خيّرا بطبعه، والشر يأتيه على يد الإنسان، فمن أين أتى الشر لهذا الإنسان حتى أعدى به غيره؟ وإذا كان المرء مفطورًا على الشر، فكيف نرى كثيرًا من الناس أخيارًا وفضلاء؟ هل يُعتقد أنهم قلدوا في ذلك غيرهم؟ إذاً فقد كان هؤلاء هم أخيارًا بالطبع حتى صاروا قدوة صالحة، وعلى هذا الأساس يجيب مسكويه أنّه لا يمكن إبطال قوة التمييز والعقل، وإلى رفض السياسات كلها، وترك الناس جميعًا همجًا مهملين، وإلى ترك الأحداث والصبيان بلا تعلم ومن دون سياسة وهذا فعلٌ شنيع جداً[17]. **ونجد أصل فكرة الخير عند أفلاطون** و عند أرسطو، إذ تتميز الأخلاق بمستوى من الاعتدال العملي، وهنا يتجاوز تعاليم أستاذه أفلاطون الأخلاقية المثالية، حيث تنطلق من أرضية عملية

ويرى الباحث أن أصل فكر الخير والشر وجذورها تنطلق من الفلسفة اليونانية، ونجد الأثر واضحا على فلاسفة المسلمين كالفارابي وابن مسكويه وابن سين وصولاً الى الخواجة نصير الدين الطوسي، إلاّ أنه يوجد تباين في الآراء في بعض الإحيان.ويتبنى الباحث الفكرة التي تقول: إنّ الرأي الصحيح الذي يقبله العقل وهو مطمئن، وتعضده الملاحظة، وتدل عليه التجارب الصادقة، هو أنّ الطفل يُخلق وفيه استعداد للخرير والشر، وتوجيهه إلى ناحية الفضيلة عمل المربي الحكيم، والتي أشار إليها محمد يوسف موسى في كتابه (مباحث في فلسفة الأخلاق)، والأدلة على هذا الرأي كثيرة منها ما ورد في كتاب الله عز وجل قوله تعالى: **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** [18]

المطلب الثاني: مفهوم السعادة واقسامها.

أن موضوع السعادة من الموضوعات المهمة التي بحث فيها الفلاسفة، والتي اعطوها بعداً أخلاقياً، إذ انطلق البحثة في هذه الموضوعات من الفلسفة اليونانية وصلاً الفلسفة الإسلامية.

لقد أشار الخواجة نصير الدين الطوسي في موضوع السعادة إلى تقسيمها قسمين هما: السعادة الحقيقية والسعادة غير الحقيقية، وهو اقتباس تام لتقسيم الفارابي، فقد اشار الفارابي في كتاب (المِلّة) إلى أنّ السعادة على قسمين، هما: السعادة الحقيقية والتي تطلب لذاتها، وتكون جميع الأمور والخيرات بحكم الوسائل

بالنسبة لها، وهي السعادة القصوى، والقسم الآخر هو ما يراه الجمهور سعادة، في الحقيقة ليست من السعادة[19]. ويبين لنا الخواجة نصير الدين الطوسي: إنّ سعادة الإنسان، بما هو إنسان، في إحدى مرتبتين: المرتبة الأولى لا يخلص من شائبة الآلام والحسرات، وعليه تكون هذه السعادة ناقصة في الحقيقة. وتكون السعادة التامة لأصحاب المرتبة الثانية الذين يكونون خالين تماماً من هذه الآلام والحسرات مستنيرين بالأنوار الإلهية، وبفيض الآثار اللامتناهية، وكل من يصل إلى تلك المنزل يكون قد وصل إلى نهاية مدارج السعادة[20].

ويقدم لنا الخواجة نصير الدين الطوسي في كتاب (أخلاق ناصري) تفصيلاً عن آراء بعض الفلاسفة، والتي تخص موضوع السعادة إذ يقول: قد أرجع الفلاسفة الذين سبقوا أرسطو مثل فيثاغورس وسقراط وأفلاطون، أرجعوا السعادة إلى النفس دون البدن، وبناء على هذا، فقد أصبح الرأي السائد في ذلك المجتمع أنّ السعادة تشتمل على أربعة أجناس، هي تلك التي تُسمى أجناس الفضائل، وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة. كما سيتضمن القسم الثاني من هذه المقالة تبيان ذلك، وقالوا إنَّ حصول هذه الفضائل يكون كافياً في الحصول على السعادة، ولا يحتاج معها إلى فضائل أخرى بدنية وغير بدنية، فإنَّ الإنسان إذا حصل على تلك الفضائل لا يضره في سعادته أن يكون سقيماً ناقص الأعضاء مبتلياً بجميع أمراض البدن إلا إذا منع المرضُ النفس من فعلها الخاص مثل فساد العقل ورداءة الذهن[21]. وقد جعلَ الفلاسفةُ من بعد أرسطو، مثل الرواقيين وأتباعهم، البدنَ قسماً من أقسام الإنسان، إذ قسَّموا السعادة إلى قسمين: القسم النفساني، والقسم الجسماني، حيث يرون أنّ السعادة النفسانية لا تكون تامة ما لم تقترن مع السعادة الجسمانية، وأمّا الأشياء التي هي خارج البدن، والتي تتعلق بالبخت والاتفاق، قد وضعوها في القسم الجسماني، وهذا الرأي ضعيف عند المحققين، إذ ليس الحظ والصدفة من الأشياء الباقية والثابتة ولا مجال لتأتيها بروية وبفكر، فكيف تُوضع السعادة التي هي أشرف الأشياء وأكرمها والخالصة من شائبة التغير[22]. وقد ذهب ارسطو طاليس عندما نظر في اختلاف الناس وتحيرهم في ماهية السعادة إلى أنّ الفقير يرى ساعدته في اليسر، والمريض في السلام والصحة، والذليل في الجاه والرفعة...الخ[23].

وعلى هذا المقياس، ولهذا السبب رتّبَ الحقائق كلها في خمسة أصناف هي: **الأول**: ما يتعلق بصحة البدن وسلامة الحواس، واعتدال المزاج، **الثاني**: ما يتعلق بالثروة ليصل بواسطة ذلك إلى الكرم ومواساة أهل الخير وكل الأفعال التي تستحق المدح، **الثالث**: ما يتعلق بحسن أحدوثة الناس فيه، والتي يكون مدحه والثناء عليه من خلاله، **الرابع**: ما يتعلق بنجاحه وحصوله على ما يبتغيه، **الخامس**: أنّ يكون قد ملك جَودة الرأي وصحة الفكر والوقوف على الصواب في المشورة، وسلامة العقيدة من الخطأ في المعارف عامّة، وفي أمور الدين خاصّة، فمن اجتمعت له هذه الأقسام المذكورة فهو الكامل على الإطلاق، وتنقص بمقدار النقص في بعض الأبواب وبعض الإضافات[24].

ونجد أنّ الترتيب ذاته موجود عند ابن مسكويه، ويبدو أنّه متأثراً الى حدٍ كبير في رأي أرسطو طاليس في موضوع السعادة وتقسيمها الى الأصناف المذكورة أنفاً[25].

لقد تابع الفلاسفة المسلمون الرأي الذي لم يفصل الكمال عن السعادة، وكان لهم في هذا الموضوع في الدراسات الأخلاقية دراساتٌ وافيةٌ تمثلت بأكبر فلاسفة الفكر الإسلامي[26].

فيُعرف الشيخ الرئيس السعادة: "بأنّها البقاء السرمدي في الغبطة الخالدة في جوار من له الخلق والأمر تبارك وتعالى". والسعادة عنده تتباين من شخص لآخر، فعامة الناس يرون السعادة في اللذات الحسية والدناسات الدنيوية، فهذه سعادة العامة وهي زائلة، أمّا السعادة الحقيقية عند ابن سينا فهي في طلب الكمال والوصول اليه، وهي السعادة الكبرى والتعني ارتفاع الوسائط بين العاشق والمعشوق، وهي السعادة المرغوب فيها التي يجب على العاقل اللبيب أن يسعى لتحصيلها والوصول إليها[27]. أما نَظَرة المتأخرون في هذين الطريقين فقد قابلوهما بقواعد الحكمة وقوانين العقل وقالوا: إنّ الإنسان يستطيع أن يصل الى مرتبة الملائكة بالفضيلة الروحانية، ويشابه البهائم والأنعام بالرذيلة الجسمانية، فهو بالخير الجسماني الذي يناسب به الانعام مقيم في هذا العالم السفلي، ليحم العالم وينظمه، حتى إذا اكتسب الفضائل انتقل بالجزء الروحاني إلى العالم العلوي، وأقام فيه سرمَداً في صحبة الملأ الأعلى، فالسعادة مشروطة بتحصيل كلا الفضيلتين، ولا يحصلان على التمام إلاّ بالأشياء النافعة في الوصول إلى الحكمة الأبدية، وهذه هي المرتبة الأولى من مراتب السعادة؛ ولذلك فإنَّ الإنسان يستغني عن السعادة البدنية عندما ينتقل لذلك العالم، وتقتصر سعادته على مشاهدة جمال الفيوضات الإلهية المقدسة، وتلك هي السعادة الحقة؛ لأنّها دائمة، والسعادة الدنيوية مهما بلغت مرتبتها فهي زائلة[28]. ونجد جذور موضوع السعادة الفكر اليوناني والذي كان واضح الأثر على فلاسفة المسلمين، مثلاً أرسطو وأفلاطون.

ويرى الباحث أنّ السعادة تنقسم الى قسمين هما: الساعدة البدنية والساعدة الروحية، وكل منهما يكون مكملاً للآخر، فلا نستطيع أن نرجح إحدهما على الأخرى، لأنك ترى الكثير من الناس يملك المال والجاه، لكنه غير سعيد نفسياً لحالة مرضية مثلاً، وعلى العكس من ذلك ترى شخصاً سليماً ومعافى ولكن مقتّر عليه في رزقه؛ فيكون أيضاً غير سعيد، وهذه السعادة تكون في عالم الدنيا وهي زائلة بكل حال من الأحوال، أمّا السعادة الحقيقة فتكمن في النوع الثاني حيث الخلود في العالم العلوي في جنان الخلد، وحيث الفيوضات الإلهية التي لا تزول ولا تنقص لسبب من الأسباب.

المطلب الثالث: اللذة والألم

اللذة والألم: يقول ابن سينا في هذا موضوع: " اللذة بأنّها إدراك وميل لوصول ما هو عند المدرك فهو كمال وخير من حيث هو كذلك، والألم هو إدراك ونيل لوصول ما هو عند المدرك آفة وشر "[29].

ويسير الخواجة نصير الدين الطوسي في هذا الموضوع على خطى ابن سينا فيؤكد على أنّ اللذة هي ادراك ونيل، أمّا النيل فهو الاصابة والوجدان ولا يكون الّا بحصول ذاته، فاللذة ليست كما قال الرازي هي ادراك اللذيذ فقط، بل هي إدراك حصول اللذيذ للمتلذذ ووصوله إليه، وهذا هو مفهوم النيل الذي يختلف عن الادراك، فيرى الطوسي في معرض حديثه عن اللذة والألم، أنّه على الرغم من وجود العلم باللذة، حتى إن كان يقينياً، فهو لا يوجب الشوق إليها ، وكذلك العلم بوجود الألم، وإن كان يقينياً، فهو لا يستدعي الاحتراز عنه[30]. ويبن لنا **الخواجة**، أنّ الألم، من دون منازع فهو وجودي، ويرى محمد بن زكريا أنّ اللذة تعني الخلاص من الألم، ويرُدُّ الخواجة على ذلك فيقول: وهو باطل كالذي يقع بصرة على صورة جميلة، فانه يلتذ بالنظر إليها، مع أنّه لم يكن لديه شعور بتلك الصورة قبل ذلك، حتى يجعل تلك اللذة خلاصاً من ألم الشوق إليها[31]. ويرى الخواجة نصير الدين الطوسي أنّ الحكماء قد أفصحوا عن ماهيه اللذة، واستقرّوا على أنّها إدراك الملائم من حيث هو كذلك، ووجدوا أنّ ذات الله سبحانه لا يكون لها ملائم أشد من ملائمتها لنفسها؛ إذ لا توجد مقارنة بينها وبين غيرها وإدراكها لذاتها هو أتم الادراكات، من خلال ذلك حكموا بأنّ اللذة التي لا يكون فوقها لذة هي التي يكون بها سبحانه، ثم نظروا في أحوال الواصلين إلى الذات المقدسة، فوجدوا ذات الله تعالى والقرب منه ملائما لنفوسهم الكاملة، وقد أدركوا ذلك من خلال استعداداتهم، فحكموا على أنّ لذتهم لذة دائمة فوق لذات هذا العالم، وأمّا اللذات الحسّيّة والخيالية فوجودها ناقص زائل ومضمحل، ومهما دامت تبدلت بالآلام؛ فحكموا إبان هذه، أنّ هذه اللذات خسيسة وركيكة فاعرضوا عنها[32]. وبإزاء اللذات الآلام، فالألم هو إدراك فوات الملائم على الرغم من الاحتياج إليه، أو قد يحصل الملائم مع الاستغناء عنه، وظاهر أنّ الله سبحانه وتعالى لا يفوته ملائم قط ولا يحصره غيرملائم، وإنّ فوات اللذات الحقيقية بالأحوال البدنية الملائمة هي قطع الطمع عن عودتها أشد ألماً[33]. وقد عبّر القرآن الكريم عن ذلك ﴿**نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ*الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ*إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ**﴾[34]. يميز لنا الخواجة نصير الدين الطوسي بين نوعين من اللذات هما: اللذة الحسية واللذة العقلية، فيرى أنّ اللذة الحسية والتي يشارك فيها الإنسان الحيوانات الأخرى هي لذة تتعرض للزوال والانتقال، وقد تملها الحواس سريعا، وإذا دامت صارت مملة وكريهة، وربّما تؤدي الى الألم، أمّا اللذة العقلية تكون بخلاف ذلك فهي ذاتية لا حسية، فمن لا يدرك اللذة بالحقيقة لا يميل إليها، فمن لا يعرف الرياسة فمن أين يطلبها، كذلك من لم يقف على الخير المطلق وطلب الفضيلة التامة فلا ينشط ولا يرتاح[35].

إذ يرى إنّ لذة السعادة هي على نوعين: فعلية، وانفعالية، فاللّذة الفعلية سريعة الزوال، إذ تختلف وتتبدل وتنتقل حسب مجرى الأحوال، واللذة الفعلية هي ذاتية لا تتغير من جهة امتناعها عن الانفعال، فاللذات الحيوانية الحسية هي من قبيل اللذات الانفعالية، أي إنّها تزول وتنقضي وتتبدل، بل تصير آلاماً كثيرة وتعد مكروهة، ولذة السعادة بخلافها إذ هي ذاتية لا عَرَضيَّة وهي عقلية لا حسية، وهي إلهية لا بهيمية فهي اللذة الفعلية، ومن هنا نجد قول الحكماء: إنّ اللذة الصحيحة هي التي توصل صاحبها من النقصان إلى التمام، ومن السقم إلى الصحة، ومن الرذيلة إلى الفضيلة ويختلف حالها عن اللذة الحسية[36].

خاتمة البحث

1- تختلف الآراء حول موضوع الخير والشر، فمنهم من يرى أن الإنسان خير بطبعه، والشر عرضٌ له، وهذا مذهب المتفائلين. ويعود هذا المذهب في فكرته الأولى إلى سقراط والرواقيين، وقد أيده جان جاك روسو (ت. 1778م) في كتابه (إميل). أما الفريق الثاني فيرى أن الإنسان شرير بطبعه، والخير عرضٌ له، وهذا مذهب

المتشائمين كالبوذية. وتميل الكنيسة المسيحية أيضًا إلى هذا الرأي، إذ ترى أن الإنسان قد أصبح شريرًا منذ خطيئة آدم، ولا سبيل لإصلاحه من تلقاء نفسه. أما القول بأن الإنسان خُلق مستعدًا للخير والشر معًا، فهو الرأي الذي يتفق مع آراء علماء النفس والتربية، وقد سبقه فيلسوفان عربيان هما الغزالي وابن خلدون.

2- يرى الخواجة نصير الدين الطوسي أن الإنسان، بسبب القوة العقلية، ينقسم في أفعاله إلى خير وشر، وجميل وقبيح، ولذلك يوصف بالسعيد والشقيّ، بخلاف الحيوان والنبات. فمن استعمل هذه القوة على الوجه الذي ينبغي، ووصل بالإرادة والسعي إلى الفضيلة التي خُلق إليها، كان خيرًا سعيدًا، وإن أهمل السعي في الجهة المقابلة، أو بالكسل والنفور، كان شريرًا شقيًا.

3- يُعد موضوع السعادة من المواضيع المهمة التي بحث فيها الفلاسفة، وأضفوا عليه بُعدًا أخلاقيًا. بدأ البحث في هذه المواضيع بالفلسفة اليونانية، ثم ارتبط بالفلسفة الإسلامية.

4- في موضوع السعادة، أشار الخواجة ناصر الدين الطوسي إلى أنها تنقسم إلى قسمين: سعادة حقيقية وسعادة وهمية. وهذا نقل كامل من تقسيم الفارابي، كما أشار الفارابي في كتابه (المِلّة).

5- ويرى الطوسي في بحثه عن اللذة والألم أن العلم باللذة وإن كان يقيناً لا يوجب الشوق إليها، وكذلك العلم بوجود الألم وإن كان يقيناً لا يوجب اجتنابه.

هوامش البحث

هوامش البحث

([1]) ينظر، عبد الوهاب جعفر: فلسفة الأخلاق والقيم،(ب،ط)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية-مصر،2013م، وينظر ايضا، محمد يوسف موسى: مباحث في فلسفة الأخلاق، (ب،ط)، مؤسسة هنداوي،2017م، ص46-47.

([2]) ينظر، قاسم صاحب الشمري: القيم الأخلاقية في الفلسفة الغربية، ط1، دار ومكتبة البصائر، بيروت لبنان،2015م، ص24.

([3]) ينظر، الخواجة نصير الدين الطوسي: أخلاق ناصري ، ص122. وينظر ايضا، عامر عبد زيد الوائلي: نحن وتراثنا الأخلاقي،ج2، ص190، وينظر كذلك، هاني نعمان فرحات :نصير الدين الطوسي وآراؤه الكلامية والفلسفية، ص303.

([4]) سورة الأعراف آية (179).

([5]) الخواجة نصير الدين الطوسي: أخلاق ناصري، ص136.

([6]) ينظر، الخواجة نصير الدين الطوسي: أخلاق ناصري، ص137.

([7]) ينظر، المصدر نفسه، ص137.

([8]) المصدر نفسه،ص138.

([9]) ينظر، علي مقلد: الأخلاق والسياسة والإجتماع عند نصير الدين الطوسي، ص49. ولتفاصيل أكثر ينظر، الخواجة نصير الدين الطوسي: أخلاق ناصري، ص138.

([10]) ينظر، آلاء جاسم كاطع: فلسفة الأخلاق والسياسة، ص67

([11]) ينظر، آلاء جاسم كاطع: فلسفة الأخلاق والسياسة ، ص56.

([12]) ينظر، حنا الفاخوري: تاريخ الفلسفة العربية،ج2،ط2،دار الجيل، بيروت-لبنان، 1993م، ص136.

([13]) ينظر، مسكويه: تهذيب الأخلاق، ص93.

([14]) ينظر، منى أحمد محمد أبو زيد، مفهوم الخير والشر في الفلسفة الإسلامية،ط1،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان،(ب،ت)، ص11.

([15]) ينظر، منى أحمد محمد أبو زيد، مفهوم الخير والشر في الفلسفة الإسلامية، ص12

([16]) ينظر، المصدر نفسه، ص12.

([17]) ينظر، محمد يوسف موسى، مباحث في فلسفة الأخلاق ، ص48.

أفلاطون: الجمهورية، دراسة وترجمة : فؤاد زكريا، (ب،ط)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية-مصر،2004 م، ص 70 – 71. وينظر أيضاً : أنعام الجندي: دراسات في الفلسفة اليونانية والعربية،ط1، مؤسسة الشرق الأوسط، بيروت-لبنان، 1965م، ص 55.

حامد حمزه الدليمي: الفلسفة اليونانية قراءات ومقاربات، ط ، تموز للطباعة، دمشق- سوريا ،2012م، ص46.
ولترستيس : تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة : مجاهد عبد المنعم،، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، بيروت - لبنان، 2005 م، ص 202.
برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الأول، ترجمة، زكي نجيب محمود، (ب،ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- مصر، 2012م، ص 277.
ماجد فخري: تاريخ الفلســـفة اليونانية من طاليس إلى افلوطين وبرقلس، ط1، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان 1991م، ص 133.
([18]) سورة الإنسان آية (3).
([19]) ينظر، عامر عبد زيد الوائلي: نحن وتراثنا الأخلاقي،ج2، ص182. وكذلك ينظر، الفارابي: كتاب الملة ،تحقيق وتقديم، محسن مهدي،ط2، دار المشرق، بيروت - لبنان،1991م، ص52. وينظر ايضاً، الفارابي: رسالة التنبيه على سبيل السعادة، دراسة وتحقيق، سحبان خليفات، ط1،الجامعة الأردنية، عمان- الإردن،1987م، ص14-15.
([20]) ينظر، عامر عبد زيد الوائلي: نحن وتراثنا الأخلاقي،ج2، ص182.
([21]) ينظر، الخواجة نصير الدين الطوسي، أخلاق ناصري، ص139.
([22]) ينظر، الخواجة نصير الدين الطوسي، أخلاق ناصري، ص139.
([23]) ينظر، المصدر نفسه، ص140.

([25]) ينظر ،عزيز لرزوق ومحمد الهلالي: السعادة،ط1، دار توبقال ،المغرب، 2013م،ص19-20.
([26]) انتصار سلمان سعد الزهيري:الشيخ مرتضى المطهري وفلسفته الأخلاقية، إطروحة، جامعة الكوفة - كلية الآداب، 2014م، ص98.
([27]) ينظر، منى فليح حسن: الأخلاق والسياسة عند ابن سينا، رسالة، جامعة بغداد - كلية الآداب، 2002م،ص71.
([28]) ينظر ، الخواجة نصير الدين الطوسي: أخلاق ناصري، ص141.
([29]) ابن سينا: الإشارات والتنبيهات، ج4، شرح نصير الدين الطوسي، تحقيق، سليمان دنيا،ط2،دارالمعارف،مصر، 1968م، ص11-12. وينظر ايضاً، هاني نعمان فرحات: نصيرا لدين الطوسي وآراؤه الفلسفية والكلامية،ص304-305.
([30]) ينظر ، هاني نعمان فرحات: نصير الدين الطوسي وآراؤه الفلسفية والكلامية، ص305.
([31]) ينظر ، نصير الدين الطوسي، تلخيص المحصلة، ص171.
([32]) ينظر، إبراهيم إبراهيم محمد ياسين، المنحى الصوفي المتفلسف عند نصير الدين الطوسي،(ب،ط) ، منتدى سور الأزبكية، 1993م، ص94-95.
([33]) ينظر، المصدر نفسه، ص95.
([34]) سورة الهمزة آية (6-8).
([35]) ينظر، الخواجة نصير الدين الطوسي: أخلاق ناصري، ص151. وينظر كذلك ، هاني نعمان فرحات : نصير الدين الطوسي وآراؤه الفلسفية والكلامية، ص306.

مصادر البحث

1.إبراهيم إبراهيم محمد ياسين: المنحى الصوفي المتفلسف عند نصير الدين الطوسي،(ب،ط) ، منتدى سور الأزبكية، 1993م

2.ابن سينا: الإشارات والتنبيهات، ج4، شرح نصير الدين الطوسي، تحقيق، سليمان دنيا،ط2،دار المعارف،مصر، 1968م

3.آلاء جاسم كاطع: الاخلاق والسياسة عند الفارابي وابن مسكويه وابن سينا إنموذجاً، إطروحة، جامعة بغداد ، كلية الآداب، 2015م

4.انتصار سلمان سعد الزهيري:الشيخ مرتضى المطهري وفلسفته الأخلاقية، إطروحة، جامعة الكوفة - كلية الآداب، 2014م.

5.أنعام الجندي: دراسات في الفلسفة اليونانية والعربية،ط1، مؤسسة الشرق الأوسط، بيروت-لبنان، 1965م.

6.برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الأول، ترجمة، زكي نجيب محمود، (ب،ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- مصر، 2012م.

7.الجمهورية، دراسة وترجمة : فؤاد زكريا، (ب،ط)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية- مصر،2004 م.

8.حامد حمزه الدليمي: الفلسفة اليونانية قراءات ومقاربات، ط ، تموز للطباعة، دمشق- سوريا ،2012م.

9.حنا الفاخوري: تاريخ الفلسفة العربية،ج2،ط2،دار الجيل، بيروت-لبنان، 1993م

10. الخواجة نصير الدين الطوسي: أخلاق ناصري ترجمة، محمد صادق فضل الله، ط1، دار الهادي للطباعة والتوزيع، بيروت-لبنان، 2008 م.

11.عامر عبد زيد الوائلي: نحن وتراثنا الأخلاقي،ج2، ط1، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، كربلاء المقدسة – العراق،2018م.

12.عبد الوهاب جعفر: فلسفة الأخلاق والقيم،(ب،ط)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية- مصر،2013م.

13.عزيز لرزوق ومحمد الهلالي: السعادة،ط1، دار توبقال ،المغرب، 2013م،ص19-20.

14.علي مقلد: الأخلاق والسياسة والإجتماع عند نصير الدين الطوسي،(ب،ط)، دار الإستقلال للثقافة والعلوم القانونية، بيروت – لبنان، (ب،ت).

15.الفارابي: رسالة التنبيه على سبيل السعادة، دراسة وتحقيق، سحبان خليفات، ط1،الجامعة الأردنية، عمان- الإردن،1987م.

16.الفارابي: كتاب الملة ،تحقيق وتقديم، محسن مهدي،ط2، دار المشرق، بيروت - لبنان،1991م.
17.قاسم صاحب الشمري: القيم الأخلاقية في الفلسفة الغربية، ط1، دار ومكتبة البصائر، بيروت لبنان،2015م.
18.ماجد فخري: تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس إلى افلوطين وبرقلس، ط1، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان 1991م.
19.محمد يوسف موسى: مباحث في فلسفة الأخلاق، (ب،ط)، مؤسسة هنداوي،2017م..
20.مسكويه: تهذيب الأخلاق
21.منى أحمد محمد أبو زيد، مفهوم الخير والشر في الفلسفة الإسلامية،ط1،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان،(ب،ت).
22.منى فليح حسن: الأخلاق والسياسة عند ابن سينا، رسالة، جامعة بغداد - كلية الآداب، 2002م.
23.هاني نعمان فرحات :نصير الدين الطوسي وآراؤه الكلامية والفلسفية،
24.ولترستيس : تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة : مجاهد عبد المنعم،، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، بيروت - لبنان، 2005 م.

المستخلص باللغة الانكليزية

ABSTRACT

Research Summary It is noted that human history has witnessed the emergence of goodness and happiness since the beginning of human thought, and this came in the ancient religions and civilizations that appeared in those time periods, as goodness and happiness were not limited to one religion or civilization without another or to a specific time, but rather it was initially not a scientific research, meaning it did not have scientific components that gave it a great influence, and later it developed and acquired scientific components, and entered the field of philosophy with Greek philosophy, arriving at Islamic philosophy.